دور رحلة الحج في الزراعة بالسودان:
ولاية كسلا نموذجاً

د.شادية السيد الحسن*

مقدمة :

كان ما يعرف ببلاد السودان حزاماً واسعاً يمتد من السنغال حتى الهضبة الأثيوبية، ذلك الحزام يتميز بأنه أرض منبسطة أو شبه منبسطة في معظمها تكسوها نباتات السافنا الغنية أو الفقيرة مما سهل حركة السكان في كل الاتجاهات (خوجلي :٢٠١٥). فقبل عام ١٨٨٤م أي قبل مؤتمر برلين لم تكن هناك حدود سياسية بين هذه الأقطار، وكان الانتقال داخل القارة أمراً سهلاً، بل كانت هناك مصالح مشتركة بين العابرين، وذلك لطبيعة المنطقة الجغرافية التي تكاد تخلو من العوائق الطبيعية – وذكر خوجلي في دراساته٢٠١٥ م أنه كانت هناك هجرات قديمة جداً حدثت في العصور القديمة من الصحراء التي كان يسودها مناخ رطب تتوافر فيه المياه والمرعى، وعند تعرضها للجفاف هاجرت مجموعات نحو الشرق وأخرى نحو الجنوب بحثاً عن حياة أفضل، فحدث اختلاط ومصاهرة بين هذه المجموعات والسكان الأصليين في تلك المناطق نتج عنها مجموعات تحمل صفات جديدة، هذا الحديث يؤكد قدم العلاقة بين السودان ودول السودان الغربي. وبالإضافة إلى العلاقات التاريخية فإن دخول الإسلام أحدث نشاطاً ثقافياً وحراكاً اجتماعياً بالنسبة لسكان غرب إفريقيا – ومثل الحج مناسبة دينية لهؤلاء ووسيلة اتصال بمنابع الحضارة الإسلامية حيث كانوا يقطعون مسافات شاسعة عن طريق البر والبحر قد تستغرق ٣–٧ سنوات، فكان الكثيرون منهم لا يكملون الرحلة مما يضطرهم للعمل ثم مواصلة الرحلة والبعض الآخر يتخلف في طريق عودته فيستقر في السودان، فاستقرارهم كان مصاحباً لرحلة الحج والعوامل الاقتصادية المصاحبة. ومن بين هذه المجموعات البرنو، الفلاتة والهوسا الذين عرفوا الإسلام في أواخر القرن الثامن عشر فخرجت أعداد كبيرة منهم لأداء الحج، وأشار عامر: ١٩٧٨م إلى أن ممتاز باشا لجأ إلى قبائل غرب إفريقيا (الهوسا /البرنو/ الفلاتة) لأنهم أهل دراية بالعمل الزراعي) مقارنة بالبجا – البدو وهم أصحاب الأرض، ولم يرغبوا في الزراعة في مشروع القاش.

استقر الهوسا في كثير من مناطق السودان في بحر الغزال (واو/راجا) بغرض التجارة والدعوة إلى الإسلام، وتصاهروا مع قبائل غرب بحر الغزال مما دعا السلطات البريطانية إلى تهجير عدد منهم إلى الفاشر (خوفاً من المد الإسلامي). ومع قيام مشاريع الزراعة المروية والحاجة إلى العمالة الزراعية استعان الإنجليز أيضاً بالفلاتة في مشروع الزيداب الزراعي عام ١٩٠٤م ومشروع الجزيرة ١٩٢٤م فزادت أعداد القادمين منهم من غرب إفريقيا والذين في طريقهم إلى الحج (العوض: ٢٠١٤م)ومع تطبيق الإنجليز لسياسات اقتصادية جديدة زادت أعداد المستقرين منهم حيث أتيحت لهم فرص عمل في هذه المشاريع، وكانت لهم إسهاماتهم في العمل الزراعي بالسودان.

---

* معهد دراسات الكوارث واللاجئين– جامعة إفريقيا العالمية

وتتركز قبائل غرب إفريقيا في كسلا، في ريفي كسلا وغرب القاش ويسكنون أحياء تسمى بأسمائهم مثل حي الفلاتة الذي يقع في أطراف المدينة وذلك لارتباطهم بالعمل الزراعي في السواقي وفي الزراعة المطرية التي تبعد حوالي ٤ أميال عن حلتهم.

الهدف من الورقة:

١- دراسة العلاقات القديمة بين بلاد السودان –السودان الشرقي مع السودان الأوسط والسودان الغربي وأثر الحج في تطور هذه العلاقة.

٢- الوقوف على إسهامات الحجيج قبائل غرب إفريقيا في الزراعة في القاش وطوكر.

ولتحقيق الأهداف اعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة، كما اعتمدت في جمع المعلومات على المعلومات الأولية (الإستبانه/المقابلة/الملاحظة) وتم تعضيد هذه المعلومات بالمعلومات الثانوية من الكتب والدوريات والتقارير والانترنت.

علاقة السودان بغرب إفريقيا:

تعتبر علاقة السودان بدول غرب إفريقيا أو السودان الغربي علاقة قديمة جداً. فقد كانت هناك رحلات رعوية للبحث عن المرعى وتداخل قبلي بين أقطارها – لهذا ظل السودان يستقبل قبائل الفلانين الرعوية مروراً بتشاد ودارفور إلى مناطق النيل الأزرق وأعالي النيل لمئات السنين. كما أستقبل في القرن الخامس عشر الميلادي مجموعة من قبائل الفلاتة في رحلات الرعي عبر برنو ثم دارفور حتى وصلوا إلى سودان وادي النيل(جريدة الآيام:٢٠١٠م) لذلك أصبح السودان ملتقى طرق لكثير من المجموعات. وتشير الدراسات إلى أن السودان بحكم موقعه الجغرافي ظل معبراً طبيعياً لحجاج غرب إفريقيا منذ آلاف السنين، فمنذ دخول الإسلام إلى إفريقيا كانت قوافل الحجاج تتجه إلى الأراضي المقدسة عبر السودان إلى أن تصل إلى موانئ البحر الأحمر (سواكن،عيذاب) وكانت الطرق التي يسلكها الحجاج هي الطرق التجارية المعروفة آنذاك والتي تأتي عبر دارفور أو من كردفان عبر الأبيض – شندي – بربر – سواكن أو عبر الأبيض – سنار– سواكن أو من خلال درب الأربعين الذي لعب دوراً مهماً في مطلع القرن الثامن عشر كمعبر لحجاج شمال غرب إفريقيا، وعزز وصول خط السكة حديد إلى الأبيض – سنار– قوز رجب– كسلا – سواكن في عام ١٩١١م من دور هذه الطرق في أداء فريضة الحج بالنسبة لحجاج غرب إفريقيا (جريدة الأيام: ٢٠١٠م).

طـرق الحـج القديمـة مـن دول غـرب أفريقيـا عـبر السـودان

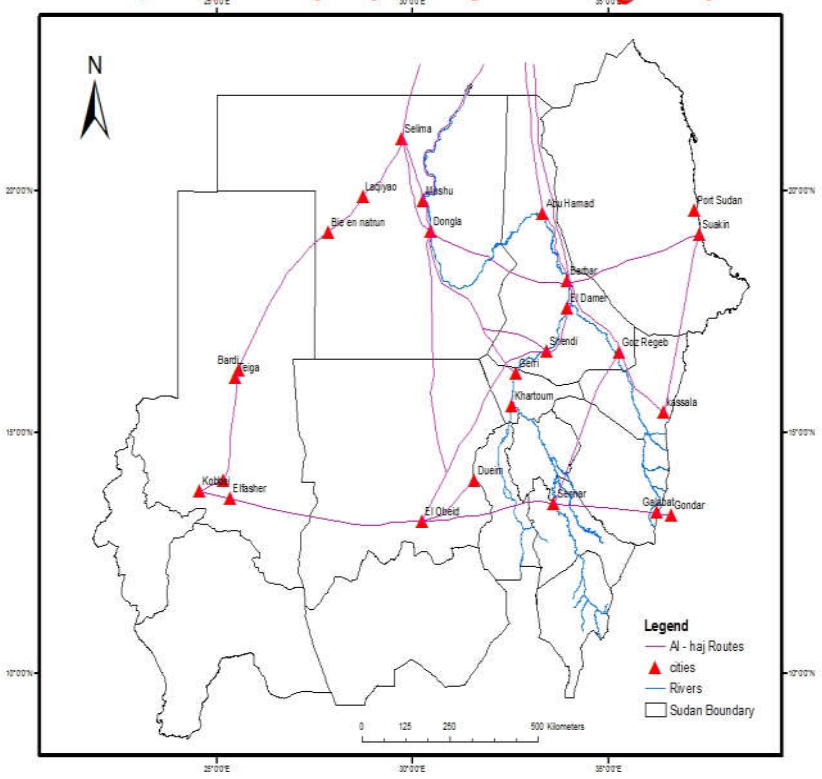

المصدر : مصطفى خوجلي ١٩٦٤م

ومما يؤكد عمق وقدم العلاقة بين السودان ودول غرب إفريقيا علاقة مملكة مروي (٧٥٠ق م–٣٥٠م) بمدينة كانو وأيضاً وجود كثير من المجموعات بالسودان، فهناك وجود مقدر للفولاني في السودان في منطقة تلس منذ القرن السابع عشر. كما وأنه مع بداية الاحتلال لمالي والسنغال خرجت أعداد كبيرة منهم اتجهت نحو الشرق (نحو مكة) في القرن الثامن عشر فوصلت أعداد منهم إلى السودان من إفريقيا الوسطى بزعامة العمدة الشريف محمد ماول الذي استقر في قرية البرداب بالقرب من كادوقلي، ومنهم من توجه إلى النيل الأزرق بقيادة الشيخ الرفاعي الذي أسس قرى أبوجيلي، الحجيرات، أبو لبن والشيخ أبو هاشم الذي أسس قرية ود هاشم وروينا. وعند قيام الدولة المهدية كان الداعم الأساسي لها قبائل غرب إفريقيا – فقد أمر الشيخ عثمان دان فودي أتباعه بمناصرة المهدي – فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى السودان، ولما وصلت طلائع القوات الإنجليزية شمال نيجريا ١٩٠٣م خرج سلطان سكوتو وأتباعه واتجهوا شرقاً، ولما قتل واصل ابنه وأتباعه هجرتهم حتى وصلوا السودان ١٩٠٤م واستقروا في قرية الشيخ طلحة بالنيل الأزرق تحت ضيافة الشيخ طلحة بن حسين الفولاني، ثم تأسست قرية مايرنو ١٩٠٥م.

إن ارتباط السودان بشعوب وقبائل غرب إفريقيا إجتماعياً وثقافياً ارتباط قوي يظهر جلياً في علاقات الوحدة والاندماج والمصاهرة كما يظهر في الدور الذي لعبته المراكز الثقافية بغرب إفريقيا في نشر الثقافة الإسلامية في سودان وادي النيل (دياب:٢٠١٠م)، هذا الأثر متبادل ففي أخريات القرن الثامن عشر وفد بعض الفقهاء من مملكة الفونج (سنار) ليعلموا المسلمين في واداي (تقع شرق بحيرة

تشاد وإلى الغرب من دارفور) وأول من دعا إلى الإسلام فيها عام ١٦١١م رجل يدعى صالح يرجع نسبه إلى قبيلة الجعليين بشندي في السودان، وفي الوقت نفسه كانت تبعث واداي بعض طلابها إلى السودان ومصر للتزود من مناهل العلم (زكي: بدون تاريخ).وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي كان هناك أكثر من ألف طالب من الفونج بمدارس البرنوكما أن هناك أكثر من ألفي طالب من دول غرب إفريقيا بالخلاوي السودانية(دياب:٢٠٠٨م).

دخول قبائل غرب إفريقيا كسلا:

أظهرت نتائج العمل الميداني (٢٠٠٧) أن قبائل غرب إفريقيا والتي تمثل ١٩% من التركيب القبلي للمنطقة، يمثل الهوسا الجزء الأكبر منها، وأنه ما من تاريخ محدد لدخولها السودان، إذ إنهم دخلوا في فترات مختلفة تراوحت بين القرن السادس عشر وحتى ١٩٥٠م، وأن جزءً من قبيلة الفلاني استقر في دارفور وذكر (Hassan:1967) أنهم جاؤوا من تمبكتو عام ١٩٠١م-١٩٠٢م مسافرين عبر إفريقيا عن طريق السودان تحت قيادة الفقير محمد هاشم لأداء فريضة الحج، وعندما استقر الفقير محمد هاشم في المدينة المنورة رجع بعضهم إلى أهله بينما استقر البعض منهم في السودان في كسلا في الضفة الغربية للقاش في منطقة قولست. وكانوا في بداية حياتهم يميلون إلى البداوة ولكن ما لبثوا أن استقروا مع النهضة الزراعية للقاش. وذكر(A Paul:1954) أن الفلاتة دخلوا المنطقة بناء على طلب المستعمر الإنجليزي من سلطان مايرنو إرسال عدد من أفراد قبيلته ليستعان بهم عمالاً في المشاريع الزراعية الكبيرة، فوصلوا إلى دلتا القاش عام١٩١١م. هذا بالاضافة إلى أن بعض المهاجرين من غرب إفريقيا جاؤوا مع الثورة المهدية معلمي دين ثم اتجهوا شرقاً واستقروا في كسلا، ولاحقاً عملوا في المشاريع الزراعية ولا يزالون يمثلون قوة العمل الرئيسية في تلك المشاريع وفي الزراعة البستانية، وفي عام ١٩٣٢م كان هناك حوالي ٧٠٠ من الهوسا و ١٦٠٠ من البرنو بهذه المشاريع. (Enas Ahmed 2005). وفي تعداد ١٩٥٦م وصلت نسبتهم إلى ٨,٨% من جملة سكان ولاية كسلا، في تعداد ١٩٩٣م وصلت نسبتهم ١١.٥% من جملة سكان الولاية (التعداد السكاني ١٩٥٦م، ١٩٩٣م).

اسهامات قبائل غرب إفريقيا في الزراعة بولاية كسلا:

تقع ولاية كسلا في شرق السودان، تحدها ولاية البحر الأحمر شمالاً وإريتريا شرقاً وولاية الخرطوم غرباً ثم ولاية نهرالنيل في الشمال الشرقي والقضارف في الجنوب. وفي السابق كانت الولاية تضم البحر الأحمر وولاية القضارف(أكبر مركز لإنتاج الحبوب) وجزء من بربر كما تضم نهرين موسميين هما بركة والقاش اللذان ينحدران من إريتريا، لذلك ركزت الدراسة على الزراعة فيهما بالرغم من أن خور بركة الآن يقع في ولاية البحر الأحمر(Mackinon:1948).

يسكن الولاية قبائل البجا التي تمارس الرعي إلى جانب مجموعات إثنية أخرى من شمال السودان ومن قبائل غرب إفريقيا التي استقرت بالمنطقة وتكيفت مع الوضع وامتهنوا الزراعة أسلوباً لحياتهم(Mackinon:1948).

وتقدر الأراضي الصالحة للزراعة بولاية كسلا بأربعة ملايين فدان، المزروع منها ١,٥٨ مليون فدان، مناصفة بين الزراعة المروية والمطرية والتي تعتمد على الأمطار وكانت تعرف بالبلدات، الملكية

فيها بوضع اليد كما يمكن للبعض زراعتها من خلال حق الانتفاع بها عبر تفويض من صاحبها أو عن طريق الإيجار أو المشاركة. وهناك ما يعرف بإيجار التزرعة ويمارسه في الغالب أصحاب الأراضي من البجا، حيث يستعينون بقبائل غرب إفريقيا في الزراعة. وفي بعض الأحيان عندما يعجز صاحب الأرض (من البجا) عن الزراعة يعتمد على العمالة بالأجر ومعظمهم من الهوسا، البرنو، والفلاته الموجودين بالمنطقة، فهولاء حتى الذين يمتلكون أراضي زراعية منهم عندما ينتهون من كل العمليات الزراعية بأراضيهم يعملون بالأجر عند الآخرين. وتتراوح المساحة المخصصة للفرد بين ٧– ١٠ فدان.

وفي عام ١٩٩١م أنشئ مشروع كلهوت الزراعي، ويقدر عدد المزارعين به حوالي ٣ آلاف مزارع منهم ٥٠٠ مزارع من قبيلة البرنو و ١٠٠٠ مزارعاً من الهوسا و ٥٠ مزارع من الفلاته وهؤلاء استقروا بالمنطقة منذ القرن الثامن عشر وكانت لهم إسهاماتهم في الزراعة بالمشروع خاصة وأن البجا لايجيدون فن الزراعة لأنهم رعاة.

تزرع بالمشروع محاصيل نقدية وأخرى غذائية، وحالياً المساحة المخصصة للفرد أصبحت تتراوح بين ٣– ٧ أفدنة (مديرالمشروع:٢٠١٦م)..

الزراعة المروية:

وهي تعتمد على مياه الأودية الموسمية وأهمها نهر القاش الذي يشكل مصدر الإعاشة لكل مناطق كسلا (زراعة/رعي) إذ يعتمد عليه في تغذية الأحواض والآبار المنتشرة في الأراضي البستانية بمنطقة السواقي. هذه الزراعة تنقسم إلى قسمين: زراعة بستانية على ضفاف النهر ويقوم بها قبائل من شمال السودان (الشايقية) والتركيز في هذا النوع على الفواكه والخضروات وخاصة البصل، كما تساهم قبائل غرب إفريقيا التي تسكن بغرب القاش في العمل بالسواقي. ثم الزراعة التجارية والمعيشية على الدلتا.

ويعتبر مشروع القاش الزراعي أكبر المشاريع المروية بالمنطقة، وهو يروى بالمياه التي تنقلهاالأودية الموسمية وأهمها نهر القاش الذي ينحدر من المرتفعات الإريترية ليدخل السودان عند حوالي ٣٠ كلم جنوب مدينة كسلا حيث يمر بها عابراً مشروع القاش وينتهي عند الدلتا (تقريروزارة الري:٢٠٠٢م). خاصية انحدار النهر أكسبه القدرة على جلب كميات كبيرة من الطمي تقدر بحوالي ٥,٥ ملايين طن/ في السنة الأمر الذي جعل الدلتا والتي تبلغ مساحتها ٧٠٠,٠٠٠ فدان تتميز بأنها من أخصب مناطق العالم(تعمير القاش:١٩٩٧م). يقدر إيراد النهر بحوالي ٢٦٠ مليون متر مكعب في المتوسط في العام وقد يزيد في بعض السنين عن ١٥٠٠متر مكعب/السنة، (حوالي ٢٢٠ مليون متر٣/السنة) الذي تعتمد عليه الزراعة والشرب كما يستخدم أيضاً في الري الفيضي بمشروع القاش (وزارة الري ٢٠٠٣). التذبذب والتباين في الإيراد اليومي والسنوي للنهر أدى إلى التفاوت في المساحات المزروعة من عام لآخر(وزارة الري:٢٠٠٣م).

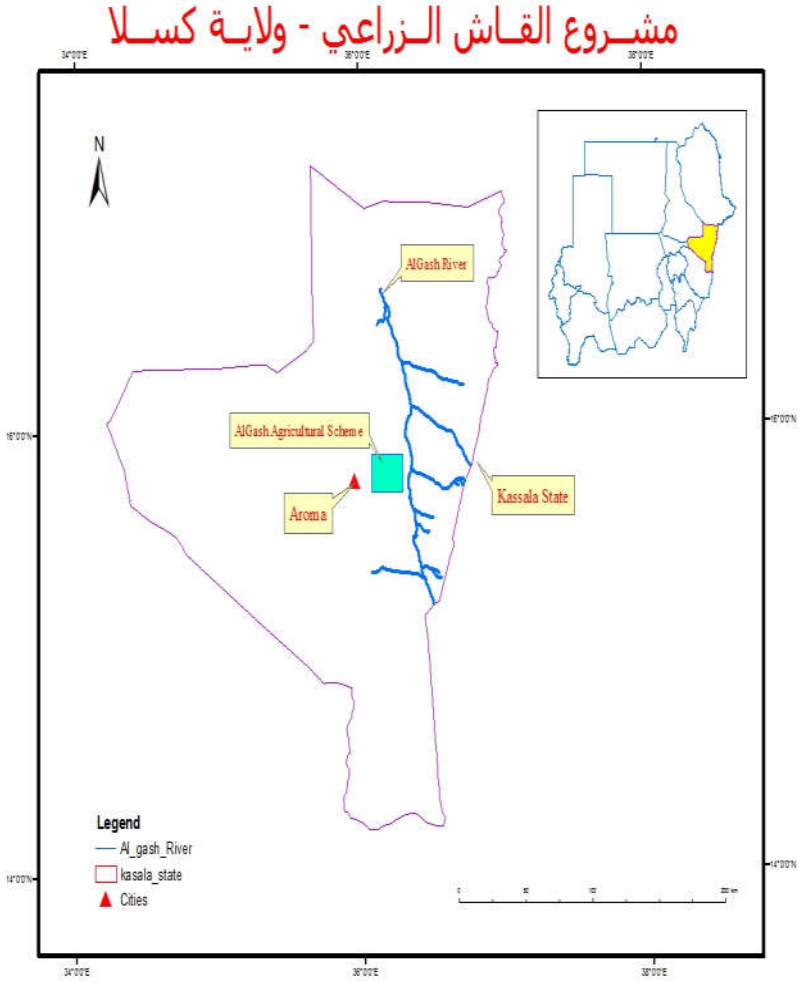

أنشئ مشروع القاش عام ١٩٢٦م وخصصت الأراضي فيه على أساس قبلي وتم تأجيرها بعقود سنوية للمزارعين، ولكن الأفضلية منحت للبجا فهم يمتلكون ٧٥% من الحيازات وتمتلك قبائل غرب إفريقيا ١٤%منها ويشاركون في زراعة ٤٠% من محاصيل المشروع خاصة في أراضي البجا الغائبين. وفي عام ١٩٣١-١٩٣٢م قدر عدد المزارعين بحوالي ٣,٣٠٠ مزارع (Mackinon:١٩٤٨)

المصدر : عمل الباحثة من القمر الصناعي ETM+ landsat7

جدول : يوضح نسبة المالكين للحيازات بدلتا القاش للأعوام ٣٣-٣٤-٣٥- ٣٦- ٣٧- ١٩٣٨م

المالكون	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	النسبة
قبائل المنطقة (البجا)	٧١.٧	٧٠.٧	٧١.٧	٧٣.٢	٧٢	٧٣	٧١.٩
القبائل الشمالية	٤.٥	٥.٣	٣.٩	٤.١	٥.٨	٥.٨	٤.٨
قبائل غرب افريقيا	٢٣.٨	٢٤.٠	٢٥.٠	٢٢.٧	٢٢.٢	٢٢	٢٣.٣

المصدر: Mackinon:١٩٤٨

من الجدول نلاحظ ارتفاع ملاك الأراضي من السكان الأصليين (البجا) كما يلاحظ أن نسبة المالكين من قبائل غرب إفريقيا (هوسا، برنو، فلاته)أعلى نسبة من القبائل السودانية الشمالية، وهذا

يعزى لدخول هذه القبائل إلى المنطقة منذ القرن السادس عشر وعملهم بالزراعة فأصبحت الزراعة تعتمد عليهم بوصفهم عمالة زراعية. حالياً يقدر عدد المزارعين بالمشروع بحوالي ٣٠ ألف مزارع ١٠% منهم من غرب إفريقيا(مدير مشروع القاش: ٢٠١٦م).

يزرع بالمشروع القطن الذي أدخلت زراعته ١٨٦٠م باعتباره محصولاً نقدياً، والذرة محصولاً غذائياً في دورة ثلاثية ويتفاوت نصيب الفرد بالمشروع بين أقل من فدان إلى أكثر من ١٠ أفدنة(إدارة المشروع:١٩٩٧م).

وتغلب على العلاقات الزراعية صفة الشراكة وعادة ما تكون بين ثلاثة أشخاص هم صاحب الأرض المسجلة ويأخذ (٥٠%) وصحاب النص (غالبية هؤلاء من الهوسا والفلاتة ونصيبه (٥٠%) أما الطرف الثالث فيأخذ نصيبه حسب ما اتفق عليه، وهناك أنواع أخرى من الشراكة منها نظام المناصفة إذ يقوم صاحب الأرض بتحضيرها ويقوم الطرف الآخر بكل العمليات الزراعية ويصبح الإنتاج مناصفة، ثم نظام الإيجار فيكون لموسم زراعي واحد مقابل مبلغ من المال(عمران:١٩٩٨م). ويلاحظ أن غالبية العمالة الزراعية من قبائل غرب إفريقيا وبعضهم من قبائل غرب السودان.

مؤخراً حولت ملكية المشروع إلى ولاية كسلا (مسايرة مع تطبيق الفيدرالية) ثم كونت هيئة تعمير القاش لإعادة تعمير المشروع الذي صاحب الأداء فيه بعض السلبيات جعلت من الصعب تحقيق الأهداف بمستوي عال، ومن هنا جاءت فكرة مشروع تجديد سبل المعيشة المستدامة بمنطقة القاش والذي نفذته منظمة الإيفاد. يستهدف المشروع ٦٧ الف أسرة منهم ٤٠ الف أسرة تم إستيعاب أفرادها مزارعين في مشروع القاش الزراعي و ٢٧ الف أسرة يستفيد أفرادها من منافع المشروع (جريدة السوداني، العدد ٥١٤ ابريل ٢٠٠٧).

الزراعة دلتا طوكر:

تشكل الدلتا مثلث طول قاعدته ٧٠ كلم على طول ساحل البحر الأحمر وهي تقع على بعد ٩٠كلم جنوب سواكن. وتتشكل من الطمي الذي تحمله مياه فيضان خور بركة الذي ينحدر من المرتفعات الإريترية (Mackinon:1948). وتعتمد الزراعة فيها على الفيضان السنوي لخور بركة وعلى الأمطار الشتوية وتختلف المساحات المروية من عام لآخر حسب الفيضان وتقدر المساحات القابلة للري بالدلتا بحوالي ٤٠٦.٠٠٠ فدان منها ٤٠% للقطن و٤٠% للذرة و٢٠% للخضروات. يبدأ العمل الزراعي بالدلتا في سبتمبر والحصاد في يونيو وتتفاوت المساحات المزروعة حسب الري وتقسم الدلتا إلى أحواض أو مربعات وتتفاوت مساحة المربع بين ١٥–٦٥ فداناً – أحسن الأراضي خصصت لزراعة القطن الذي أدخلت زراعته في الدلتا ١٨٦٧م على يد أحمد ممتاز باشا حاكم سواكن آنذاك. وفي الحكم التركي الإنجليزي اعتمد القطن المحصول النقدي الأول وبدء الإنتاج التجاري عام ١٩٢٣م وساعد على ذلك مد خط السكة حديد. (Mackinon:1948).**كما**خصصت إدارة المشروع أراضي لزراعة الذرة والدخن بوصفها محاصيل غذائية، لتحسين نوعية غذاء السكان. وفي السبعينيات بدأت تضعف مساهمة الدلتا في الاقتصاد القومي نتيجة للتحول من زراعة القطن إلى المحاصيل الأخرى، لإسباب كثيرة أهمها حدوث الفجوة الغذائية في البحر الأحمر.

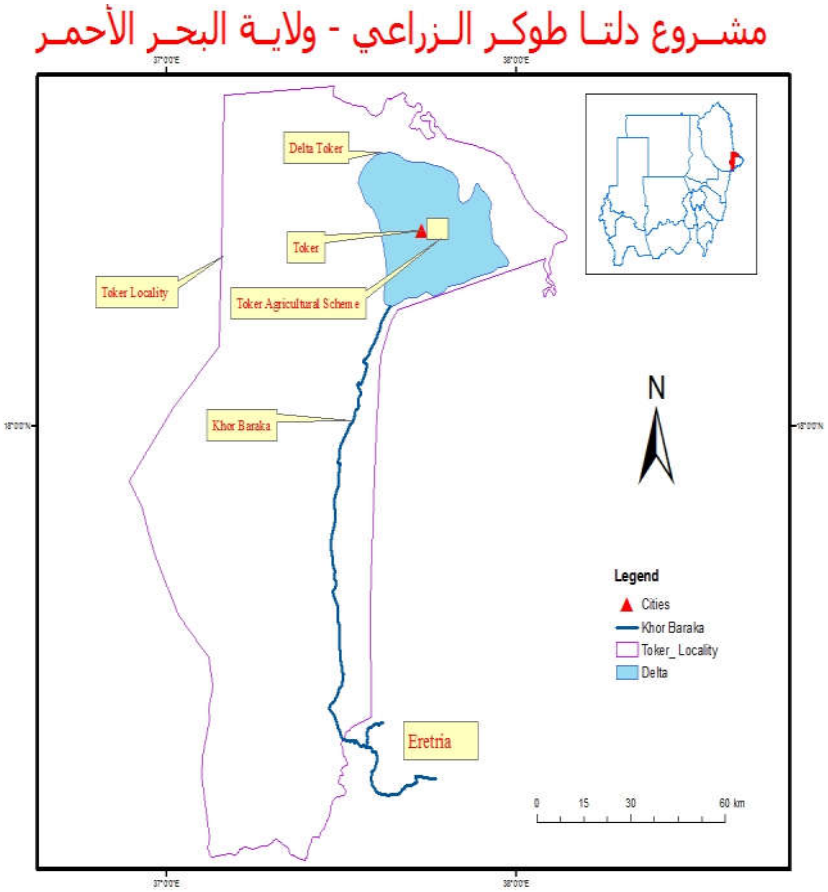

المصدر : عمل الباحثة من القمر الصناعي ETM+ landsat7

حيازة الأراضي

تخصص الأراضي سنوياً بواسطة مجلس الدلتا وتمنح الأفضلية لزعماء القبائل الأصليين– وهذا ما يعرف بالضمن(Demin) وهي تمليك مساحات كبيرة للقبيلة للانتفاع بها أو مساحات صغيرة للأفراد. وفي عام ١٩٠٤م مصدر قرار بأن الأراضي الصالحة للزراعة في الدلتا هي أراض حكومية لا تخضع لأي قبيلةأوحقوق خاصة وكل الأراضي خارج الدلتا تتبع للولاية وللقبيلة حق الانتفاع بها ويحق لأفراد من خارج القبيلة الانتفاع بها بشرط موافقة شيخ القبيلة. وفي عهد الاستعمار قسم الإنجليز المناطق المروية بين القبائل البجاوية ومجموعات صغيرة أخرى (شماليين وقبائل غرب إفريقيا) وكان نصيب الحكومة ١% من المساحة المروية كما شجع الاستعمار شيوخ البجا على الإهتمام بالأرض وتوزيعها على أتباعهم لزراعتها بالاتفاق معهم. (Abdel Ati &Al Tohami:2011).

توزيع الارض بين القبائل في دلتا طوكر :

القبيلة	١٩٩٠			٢٠٠٨	
	عدد أصحاب الضمن	المساحة بالفدان	النسبة	المساحة بالفدان	النسبة
الارتيقا	٨٠٠	٧٠.٥٥٧	٢٨.٩	٥٠.٩٣٢	٢٥.٢
بني عامر	٦٢٠	٢٣.٥٧٠	٩.٦	٣٩.٢٦٠	١٩.٤
كميلاب	٢٠٠	١٩.٢٦٥	٧.٨	٢٠.٢٩٧	١٠
الهدندوة	٣٠٠	٢٥.٣٣٦	١٠.٣	١٨.٤٩٧	٩.١
أشراف	٣٥٠	٢٣.٩٠٠	٩.٧	١٧.٣٧٥	٨.٦
شاياب	٥٠٠	٣٢.٩٦٥	١٣.٤	١٦.٩٣٧	٨.٤
حسناب	١٠٠	١١.٧٣٧	٤.٨	٨.٥٥١	٤.٢
الشماليون	٢٥٠	٨.٣٢٥	٣.٤	٦.٧٣٧	٣.٣
فلاتة وهوسا	٤٧٠	٧.٧٠٠	٣.١	٦.١١٩	٣
نوراب أمرأر	١٣٥	٦.١٠٠	٢.٥	٤.١٨٥	٢.١
حباب	١٤٥	٣.٠٣٠	١.٢	٢.٩٥٨	١.٥
سواكنية	٢٨٥	٨.٠٥٠	٣.٣	١.١١٨	٠.٦
الأجانب				٤.٤٨٧	٢.٢

المصدر : تقرير مشروع طوكر الزراعي ٢٠٠٨م

من الجدول نجد أن الارتيقا والشاياب يمثلون أكبر ملاك للأراضي ويستحوذون على ٤٢% من الأراضي. وبمقارنة توزيع الأراضي للقبائل في الفترة من ١٩٩٠م وحتى ٢٠٠٨م نلاحظ من الجدول أن هناك إنخفاضاً في نسبة الأراضي المخصصة للارتيقا والسواكنية، الهدندوة والأشراف والحسناب وفي المقابل ظلت النسبة ثابتة في نسبة أراضي المجموعات غير البجاوية من الفلاتة والهوسا كما يلاحظ أن للأجانب نصيباً من هذه الأراضي في عام ٢٠٠٨م وذلك لإدخال الاستثمار بالمشروع. أعداداً قليلة من البجا تقيم بطوكر والغالبية رحلوا إلى بورتسودان وسواكن للبحث عن حياة أفضل وتركوا أراضيهم للمستاجرين من العمالة الزراعية التي هي خليط من مجموعات إثنية أغلبها من الفلاتة والهوسا الذين دخل أجدادهم المنطقة في القرن ١٦ واستقروا في الدلتا لممارسة الزراعة. الآن معظمهم عمال زراعيون يقومون بزراعة الأرض

بالاتفاق مع أصحابها وبعضهم يمتلك أراضي، يقدر عددهم بحوالي ٣٠٠٠ شخص (حمزة ٢٠١٦/٥/١٢م). يسكن المزارعون بطوكر المدينة ولكنهم يمكثون حوالي ٨ أشهر بالدلتا في فترة الزراعة وبعد الحصاد يعودون إلى المدينة محملين بالمحاصيل الزراعية التي يعتمدون عليها أثناء السنة. إلى جانب هؤلاء هناك مجموعات اثنية أخرى نزحت من أجزاء متفرقة من السودان بالإضافة إلى الذين لا يملكون أراضي من البجا.

علاقات الإنتاج في محصول القطن بالدلتا تستند على الشراكة بين المشروع والمزارعين بغض النظر عن نوع الحيازة والاتفاقيات الخاصة بين الملاك والمستخدمين للأرض وفي هذا الإطار يمكن أن يقوم صاحب الضمن بتأجير أرضه إلي صاحب النص(المستأجر) بنسبة ٥٠% – ٥٠ % باتفاقية مزارعة، وفي المساحات الصغيرة أحياناً يقوم صاحب الضمن بتأجير أرضه مباشرة إلى العمال الزراعيين بقسمة ٥٠%– ٥٠% وفي هذه الحالة يكون العامل مسؤولاً عن نظافة الارض في نهاية الموسم الزراعي،أما صاحب النص فعليه توفير العمالة الزراعية خاصة للمساحات الكبيرة والمتوسطة، ويؤجر صاحب النص الأرض للعمال الزراعيين والذين معظمهم من الهوسا، الفلاتة والبرنو وفي نهاية الموسم يقسم العائد إلى ٥٠% لصاحب النص و٢٥% لصاحب الضمن و ٢٥% للعمال الزراعيين وتختلف هذه العلاقة في المحاصيل الأخرى (الخضروات، الذرة) (Abdel Ati &Al Tohami:2011).

خاتمة:

ساعد النشاط الزراعي بولاية كسلا (المروي/المطري) في جذب الكثيرين للعمل بالولاية. فقد أوضح العمل الميداني ٢٠٠٧م أن ٣٠% من أفراد عينة البحث ليسوا من سكان المنطقة الأصليين، ٣١% منهم جاءوا من خارج الولاية وانخرطوا في العمل الزراعي في المشاريع المروية ومشاريع الزراعة الآلية حيث الحاجة إلى العمالة في فترات الزراعة والنظافة والحصاد وأيضاً العمل بالأجرومعظم هؤلآء من قبائل غرب إفريقيا والقبائل الوافدة إلى المنطقة من غرب السودان والتي أغرتهم فرص العمل على الاستقرار بالمنطقة (Abu Sin :2007).

وسيطرت قبائل غرب افريقيا على القطاع غير الرسمي كعمال زراعيين في السواقي وهؤلاء تصل نسبتهم إلى ١٣% من جملة العاملين بالقطاع (أعمال حرة) والذي يمثل ٥٠% من التركيبة المهنية، كما يعمل ١٦% منهم سائقين في نقل المنتجات البستانية من كسلا وإلى الولايات ويلاحظ من العمل الميداني ارتفاع نسبة المزارعين بغرب القاش وذلك لأن غالبيتهم من قبائل غرب إفريقيا التي تمارس مهنة الزراعة منذ قيام مشروع القاش والمشاريع الزراعية الأخرى.

بصورة عامة يمكننا القول بأن معظم المشاريع الزراعية في السودان (الزيداب، الجزيرة، القاش، طوكر، الرهد وغيرها) استفادت من خبرات وتمرس وصبر قبائل غرب إفريقيا واعتمدت

عليهم فى في الزراعة، فهم يشكلون رقماً كبيراً فى حجم العمالة فى كل المجالات، بل أصبحوا جزءً من المجتمع السوداني فانخرطوا فيه واختلطوا بأهله وانصهروا فيهم.

المراجع:

- ابو النور، السر النور(٢٠١٢)، قبيلة الهوسا تاريخياً، صحيفة حريات ٣ مايو ٢٠١٢م www.hurriyatsudan.com
- تقريرجمهورية السودان للتعداد السكاني، للأعوام ١٩٥٦م، ١٩٩٣م.
- جريدة الأيام (٢٠١٠/١٠/١٦)، أهم مدن وطرق القوافل في السودان، ورقة قدمت في ندوة السودان وإفريقيا في مدونات الرحالة العرب ٢٠٠٦، الخرطوم.
- جريدة السوداني– العدد ٥١٤، أبريل ٢٠٠٧م، الخرطوم.
- خوجلي، مصطفى محمد، (٢٠١٦) " سلطنة سنار"، الجغرافيا والتاريخ، سنار عاصمة الثقافة.
- دياب، أحمد إبراهيم (٢٠٠٨م) البرنو والهوية السودانية، حقائق تاريخية عن البرنو في السودان http://albarno.blogspot.com /
- دياب، أحمد إبراهيم ٢٠١٠، الهوية السودانية عبر التاريخ، دراسة تحليلية تاريخية، معهد الدراسات السودانية
- زكي،عبدالرحمن (بدون تاريخ)، الإسلام والمسلون في غرب إفريقيا، مجموعة محاضرات عامة، معهد الدراسات الإسلامية
- سند، سليمان عمر (٢٠١٢م)، "تاريخ الهوسا في السودان، منتدى قبيلة الهوسا يونيو ٢٠١٢م sudanesehausa.forumotion.com/t262-topic
- عمران، هنادي أحمد محمد(١٩٩٨م)، قابلية التعرض لخطر المجاعة واستراتيجيات التكيف، دراسة حالة محافظة القاش، ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.

تقارير:

- تقرير إدارة مشروع القاش الزراعي ٢٠٠٨م
- تقارير وزارة الري عام (٢٠٠٢م، ٢٠٠٣م)
- تقرير تعمير القاش ١٩٩٧م
- تقرير التصدعات البيئية كسلا ١٩٩٧م
- مقابلة مع مدير مشروع كلهوت الزراعي ٢٠١٦م
- مقابلة مع مدير مشروع القاش ٢٠١٦م
- مقابلة مع رئيس اللجنة الشعبية بدلتا طوكر – حمزة الهوساوي ٢٠١٦م
- العمل الميداني (٢٠٠٧م) آثار فيضان نهر القاش ٢٠٠٣م على مدينة كسلا

References:-

1. Abdel Ati, Hassan and Al Tohami, Mohieldean (2011): Land Tenure and Land Use in Tokar Delta, EDGE for consultancy and reach – Khartoum.
2. AbuSin, Ahmed and Abbakar, Abbakar M. (2007), Kassala: The Bridging State of Eastern Sudan- in Peace in Eastern Sudan, Some Importnant Aspects for Consideration, edited by Abdel Gaffar M. and Leif Manager.
3. Ahmed Einas(2005): Political Dynamics and the search for legitimacy at the local level. The case of Kassala State in Miller, Ireton, F. and Dalmau (2005) land Ethninity and political legitimacy in Eastern Sudan, CEDEI and DSRC.
4. E.Mackinon,(1948):Kassala ProvinceinTothill (ed.)Agriculture in Sudan, London.
5. Hassan, Yusuf Fadle (1967): The Arabs and the Sudan, Edinburgh University Press, London.
6. Paul, M.A. (1954) : A History of the Bija Tribes of the Sudan, Cambridge University Press.
7. Tothill,(1948) Agriculture in Sudan, Oxford University Press, Oxford.